بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ، له الحمد في الأولى والأخرى وله الحمد حتى يرضى وبعد الرضى ، نحمده في السراء والضراء وعلى الشدة والرخاء ، الحمد لله صبراً على بلائه وشكراً على نعمائه وله الحمد على حَزَنَ الأمر وسهله وعلى حلوه ومره ، وله منا كمال التسليم لأمره ، وليس لنا أن نقول إلا ما قاله النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم : إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن ولا نقول إلا ما يرضي الرب وإنا على فَقْدِ الإمام علي عليه السلام لمحزونون فإنا لله وإنا إليه راجعون ولا عدوان إلا على الظالمين ،

بداية وبادئ كل ذي بدء لا يسعنى إلا أن أتقدم بأحر التعازي وأبلغ المواساة لجميع المؤمنين وكل من يعِز عليه فَقْدِ أمير المؤمنين ،

وبهذا المصاب الجلل والحادث الأليم نقول عظم الله أجركم وأحسن عزاكم وجبر مصابكم وكتب الله أجوركم وجعل تجمعكم هذا في موازين حسناتكم بحق محمد وآله الطاهرين صلوات ربي وسلامه على أرواحهم الطاهرة من يومنا هذا إلى يوم الدين ،

أما بعد :

السلام عليك يارسول الله، السلام عليك يانبي الله، السلام عليك يا صفي الله،

السلام عليك خاتم النبيين، السلام عليك سيد المرسلين، السلام عليك وعلى أهل بيتك الغر الميامين.

السلام عليك يا أمير المؤمنين، السلام عليك إمام المتقين، السلام عليك سيد الوصيين، السلام عليك خليفة رسول رب العالمين، السلام عليك ايها السراج المنير، السلام عليك عَلَمَ التقى،السلام عليك قلعة النجا السلام عليك كهف الضعفاء السلام عليك باب علم مدينة النبي المصطفى السلام عليك من اتى فيه هل اتى السلام عليك ورحمة الله وبركاته

أشهد أنك أقمت الصلاة وآتيت الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر وجاهدت في الله حق جهاده، وجدت بنفسك صابراً محتسباً ذائدا عن دين الله، طالباً ما عند الله راغباً فيما وعد الله، وافياً لرسول الله، كاشفاً للكرب عن وجهه، ويداً لبأسه، وتاجاً لرأسه، وباباً لمدينة علمه، لم تزل سيِّدي على منهاج رسول الله ووتيرته، وجمال سيرته، مقتدياً بسنته، متعلقاً بهمَّتِه مباشراً

لطريقته، لم تزل كذلك إلى أن:

لـــبس الإســـلامُ أبـــدادَ الحـــدادِ يوم أردى المرتضى سيفُ المرادي
ليلـــةٌ مـــا ... أصـــبحت ... إلا وقد غلب الغي على أمر الرشادِ
والصـــلاحُ انخفضـــت أعلامُـــه وغدت ترفع ... أعلام ... الفسادِ
مـــا رعـــى الغـــادرُ شـــهرَ اللهِ أو حجةَ اللهِ على كلِّ ... العبادِ
قتلـــوه وهـــو في ... محرابـــه طاوِيَ الأحشاءِ من ماءٍ وزادِ
فبكتْـــهُ الجـــنُّ والإنـــسُ معـــاً وطيورُ الجوِّ مَعْ وحشِ البوادِي
هُـــدِمَتْ واللهِ أركـــانُ الهـــدى حيثُ لا من منذرٍ فينا ... وهادي

فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإنا لله وإنا إليه راجعون

السلام عليكم ايها الحضور الكرام السلام على الجمع النير السلام على هذه الوجوه المبلجة والصدور الطاهرة السلام على من اتى للعزاء في من نزلت فيه هل اتى السلام على محبي علي المرتضى

أيها الأخوة المؤمنون : انني اشكر الله عز وعلا ان تكرم عليّ بوقوفي امامكم ايها الاباء الكرام والاخوة الافاضل

وشرفني باحياء مأتم صنو سيد الانام عليه وعلى اله افضل الصلاة والسلام

أيها الأخوة المؤمنون : هذا هو شهر رمضان ، شهر الرحمة والغفران قد أقبل بخيره وعمنا بفضله ، وعلى ما فيه من الخير والبركات ، فقد كان مسرحاً لكثير من الأحداث المؤلمة والمآسي المحزنة التي أدمت القلوب .

ففيه فقد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ركنين وثيقين من خُلّص أعوانه ، ففقد عمه أبوطالب في شهر رمضان وفقد زوجته خديجة بنت خويلد في نفس العام ، وبلغ به الحزن عليهما كل مبلغ فقال معبراً عن حزنه وعظيم مصابه : ((الآن انهدَّ ركناي)) .

وفي شهر رمضان رحلت ابنة الرسول فاطمة الزهراء البتول ، وقد كان لموتها حزن عظيم الأثر في نفس أمير المؤمنين ، وغير بعيد عنا ما فُجعنا بفقده وأنهد ركن الدين بموته الإمام المجدد للدين شيخ الإسلام والمسلمين مولانا أبي الحسنين مجدالدين المؤيدي قدَّس الله

روحه في عليين الذي وافته المنية في شهر رمضان قبل أعوام ، فإنا لله وإنا راجعون وإنا إلى ربنا لمنقلبون ،

ولقد كان من اشد تلك الفجائع وادماها للقلوب وانكاها للصدور مقتل امير المؤمنين الإمام علي عليه السلام ،

أيها الأخوة الكرام :ماذا تريدون مني ان اقول في هذه الليلة العظيمة و اللحظات المباركة

هل تريدون ان اتكلم عن شخصية اميرالمؤمنين عن علمه عن تقاه عن زهده عن تفانيه في اعزاز دين ربه وارساء معالم نبيه واعلاء كلمة خالقه وتشييد اركان حصون دينه

ام ان خوض في قعور بحار فضائله او ان احلق في سماء مكارمه او ان اجول بكم في فسيحات براري عدله وانصافه

انني ومن هذا المكان علن لكم عن عجزي عن الوفاء بحقه او الاتيان بعشر عشير مايستحقه كيف لا و فضائله عليه السلام، قد بلغت من العظم والانتشار والاشتهار مبلغا يسمج معه التعرض لذكرها، والتصدي لتفصيلها،

وما أقول في رجل سبق الناس إلى الهدى، وآمن بالله وعبده، وكل من في الارض يعبد الحجر، ويجحد الخالق، لم يسبقه أحد إلى التوحيد إلا السابق إلى كل خير، محمد رسول الله صلى الله عليه وآله.

وما اقول في رجل أحب كل واحد أن يتكثر به، وود كل أحد أن يتجمل ويتحسن بالانتساب إليه، حتى الفتوة التى أحسن ما قيل في حدها: ألا تستحسن من نفسك ما تستقبحه من غيرك، فإن أربابها نسبوا أنفسهم إليه، وصنفوا في ذلك كتبا، وجعلوا لذلك إسنادا أنهوه إليه، وقصروه عليه وسموه سيد الفتيان، وعضدوا مذهبهم إليه بالبيت المشهور المروي، انه سمع من السماء يوم أحد: لا سيف إلا ذو الفقا ر ولا فتى إلا علي وما أقول في رجل أبوه أبو طالب سيد البطحاء، وشيخ قريش، ورئيس مكة، قالوا: قل أن يسود فقير، وساد أبو طالب وهو فقير لا مال له، وكانت قريش تسميه الشيخ.

وله مع شرف هذه الابوة أن ابن عمه محمد سيد الاولين والآخرين، وأخاه جعفر ذو الجناحين، الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: " أشبهت خلقي وخلقي

وزوجته سيدة نساء العالمين، وابنيه سيدا شباب أهل الجنة، فأباؤه آباء رسول الله، وأمهاته أمهات رسول الله، وهو مسوط بلحمه ودمه،

واختص بقرابته القريبة من الرسول عليه السلام، فكان ابن عمه، وزوج ابنته، وأحب عترته إليه، كما كان كاتب وحيه، وأقرب الناس إلى فصاحته وبلاغته، وأحفظهم لقوله وجوامع كلمه، أسلم على يديه صبيا قبل أن يمس قلبه عقيدة سابقة، أو يخالط عقله شوب من شرك موروث، ولازمه فتيا يافعا، في غدوة ورواحه، وسلمه وحربه، حتى تخلق بأخلاقه، واتسم بصفاته، وفقه عنه الدين، وثقف ما نزل به الروح الامين، فكان من أفقه أصحابه وأقضاهم، وأحفظهم وأوعاهم، وأدقهم في الفتيا، وأقربهم إلى الصواب، وحتى قال فيه عمر: لابقيت لمعضلته ليس لها أبو الحسن، وكانت حياته كلها مفعمة بالاحداث، مليئة بحلائل الامور، فعلي عهد الرسو عليه السلام ناضل المشركين واليهود، فكان فارس الحلبة ومشعر الميدان، صليب النبع جميع الفؤاد

وما أقول في رجل تعزى إليه كل فضيلة، وتنتهى إليه كل فرقة، وتتجاذبه كل طائفة، فهو رئيس الفضائل وينبوعها، وأبو عذرها، وسابق مضمارها، ومجلى حلبتها، كل من بزغ فيها بعده فمنه أخذ، وله اقتفى، وعلى مثاله احتذى.

وأما الشجاعة: فإنه أنسى الناس فيها ذكر من كان قبله، ومحا اسم من يأتي بعده، ومقاماته في الحرب مشهورة يضرب بها الامثال إلى يوم القيامة، وهو الشجاع الذى ما فر قط، ولا ارتاع من كتيبة، ولا بارز أحدا إلا قتله، ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت الاولى إلى ثانية، وفي الحديث " كانت ضرباته وترا "، ولما دعا معاوية إلى المبارزه ليستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما، قال له عمرو: لقد أنصفك، فقال معاوية: ما غششتني منذ نصحتني إلا اليوم! أ تأمرني بمبارزه أبي الحسن وأنت تعلم أنه الشجاع المطرق! أراك طمعت في إمارة الشام بعدي! وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته، فأما قتلاه فافتخار رهطهم بأنه عليه السلام قتلهم أظهر وأكثر، قالت أخت عمرو بن عبد ود ترثيه:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... بكيته أبدا ما دمت في الأبد

لكن قاتله من لا يعاب به ... وكان يدعى قديمًا بيضة البلد

وأما السخاء والجود: فحاله فيه ظاهرة، وكان يصوم ويطوي ويؤثر بزاده، وفيه أنزل ".

{ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُورًا } "(٥).

وقال عدوه ومبغضه الذي يجتهد في وصمه وعيبه معاوية بن أبى سفيان لمحفن(٣) بن أبي محفن الضبي لما قال له: جئتك من عند أبخل الناس، فقال: ويحك "! كيف تقول إنه أبخل الناس، لو ملك بيتا من تبر وبيتا من تبن، لانفد تبره قبل تبنه.

وهو الذى كان يكنس بيوت الاموال ويصلي فيها، وهو الذي قال: يا صفراء، ويا بيضاء، غري غيري.

وأما الحلم والصفح: فكان أحلم الناس عن ذنب، وأصفحهم عن مسئ، وقد ظهر صحة ما قلناه يوم الجمل، حيث ظفر بمروان بن الحكم – وكان أعدى الناس له، وأشدهم بغضا – فصفح عنه.

وأما العبادة: فكان أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوما، ومنه تعلم الناس صلاة الليل، وملازمة الاوراد وقيام النافلة، وما ظنك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نطع بين الصفين ليلة الهرير، فيصلي عليه ورده، والسهام تقع بين يديه وتمر على صماخيه يمينا وشمالا، فلا يرتاع لذلك، ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته! وما ظنك برجل كانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده.

وأنت إذا تأملت دعواته ومناجاته، ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله، وما يتضمنه من الخضوع لهيبته، والخشوع لعزته والاستخذاء له، عرفت ما ينطوي عليه من الاخلاص، وفهمت من أي قلب خرجت، وعلى أي لسان جرت!.

وكما روى عن أبي الدرداء أنه قال : شهدت عليا عليه السلام وقد اعتزل عن مواليه واختفي عن من يليه واستتر بفسلان النخل فافتقدته وقلت: لحق بمنزله فإذا أنا بصوت حزين ونغمة شجي وهو يقول: الهي كم من موبقة حلمت عن مقابلتها بنعمتك، وكم من جريرة تكرمت عن كشفها بكرمك، الهي أن طال في عصيانك عمري وعظم في الصحف ذنبي فمأأنا مؤمل غير غفرانك ولاأنا براج غير رضوانك

قال أبوالدرداء رحمه الله تعالى فشغلني الصوت واقتفيت الأثر فإذا هو على بعينه فاستترت منه

واخملت الحركة فركع ركعات في جوف الليل الغابر ثم فزع إلى الدعاء والأستغفار والبكاء والبث والشكوي فكان مما ناجي به ربه أن قال: الهي افكر في عفوك فتهون على خطيئتي، ثم أذكر العظيم من أخذك فتعظم على بليتي، ثم قال: آه إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت محصيها فتقول: خذوه. فياله من مأخوذ لاتنجيه عشيرته ولاتنفعه قبيلته، ترحمه الملأ إذا أذن فيه بالنداء، ثم قال: آه من نار تنضج الأكباد والكلي آه من نار نزاعة للشوء آه من ملهبات لظي) قال: ثم أمعن في البكاء فلم أسمع له حسا ولاحركة فقلت: غلب عليه النوم لطول السهر أو قصد لصلاة الفجر فانتبه فإذا هو كالخشبة الملقاة فحركته فلم يتحرك فزويته فلم ينزو فقلت: إنا لله وأنا إليه راجعون، مات والله علي بن أبي طالب قال: فأتيت منزله مبادرا نعاه إليهم فقالت فاطمة: ياأبا الدرداء لهي والله الغشية التي تأخذه من خشية ا لله ثم اتوا بماء فنضحوه على وجهه فأفاق فنظر إلى وأنا أبكى فقال: مابكاؤك ؟ فقلت: مما أراه تنزله بنفسك. فقال: ياأباالدرداء فكيف لو رأيتني وقد دعيت إلى الحساب وايقن أهل الجرائم بالعذاب واحتوشتني ملائكة غلاظ وزبانية افظاظ فوقفت بين يدي الملك الجبار، وقد أسلمني الأحباء ورحمني أهل الدنيا لكنت أشد رحمة لي بين يدي من لايخفي عليه خافية.

وأما الفصاحة: فهو عليه السلام إمام الفصحاء، وسيد البلغاء،

وأما سجاحة الاخلاق، وبشر الوجه، وطلاقة المحيا، والتبسم: فهو المضروب به المثل قال صعصعة بن صوحان وغيره من شيعته وأصحابه: كان فينا كأحدنا، لين جانب، وشدة تواضع، وسهولة قياد، وكنا نهابه مهابة الاسير المربوط للسياف الواقف على رأسه.

وقال معاوية لقيس بن سعد: رحم الله أبا حسن، فلقد كان هشا بشا، ذا فكاهة، قال قيس: نعم، كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يمزح ويبتسم إلى أصحابه، وأراك تسر حسوا في ارتغاء، وتعيبه بذلك! أما والله لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة أهيب من ذي لبدتين قد مسه الطوى، تلك هيبة التقوى، وليس كما يهابك طغام أهل الشام!.

وقد بقى هذا الخلق متوارثا متنافلا في محبيه وأوليائه إلى الآن

وأما الزهد في الدنيا: فهو سيد الزهاد، وبدل الابدال، وإليه تشد الرحال، وعنده تنفض الاحلاس، ما شبع من طعام قط.

وكان أخشن الناس مأكلا وملبسا، قال عبد الله بن أبي رافع: دخلت إليه يوم عيد، فقدم جرابا مختوما، فوجدنا فيه خبز شعير يابسا مرضوضا، فقدم فأكل، فقلت: يا أمير المؤمنين، فكيف تختمه؟ قال: خفت هذين الولدين أن يلتاه بسمن أو زيت.

وكان ثوبه مرقوعا بجلد تارة، وليف أخرى، ونعلاه من ليف.

وكان يلبس الكرباس {القطن} الغليظ، فإذا وجد كمه طويلا قطعه بشفرة، ولم يخطه، فكان لا يزال متساقطا على ذراعيه حتى يبقى سدى لا لحمة له، وكان يأتدم إذا ائتدم بخل أو بملح، فإن ترقى عن ذلك فبعض نبات الارض، فإن ارتفع عن ذلك فبقليل من ألبان الابل، ولا يأكل اللحم إلا قليلا، ويقول: لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوان.

وكان مع ذلك أشد الناس قوة وأعظمهم أيدا، لا ينقض الجوع قوته، ولا يخون الاقلال منته.وهو الذي طلق الدنيا وكانت الاموال تجبى إليه

نعم لقد حاز عليه السلام اسنى الفضائل وارقى المحاسن وبلغ في المكارم والمعالي مبلغا حتى ان الد خصومه اذا سمعوا وامضا من مادحه غلبتهم احاسيسهم على الاجهاش بالبكاء ومن ذلك ما روي ان ضرارا بن مرة الكناني دخل على معاوية فقال له: صف علياً؟ فقال: أوتعفيني يا أمير المؤمنين، قال: لا أعفيك، قال: إذ لا بد فإنه كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواجذه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، وكان والله غزير الدمعة، طويل الفكرة، يقلب كفيه ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، وكان والله كأحدنا يدنينا إذا آذناه، ويجيبنا إذا سألناه، وكان مع قربه منا لا نكلمه هيبة له، فإن تبسم فمن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين ويحب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه، يتمثل في محرابه، قابضاً على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، وكأني أسمعه الآن وهو يقول: يا ربنا يا ربنا يتضرع إليه، ثم يقول للدنيا، إليّ تعرضت أم إليَّ تشوقت هيهات هيهات غري غيري، لا حان حينك فقد بتتك ثلاثاً، فعمرك قصير، وعيشك حقير، وخطرك كثير، آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق.

قال: فوكف دموع معاوية على لحيته ما يملكها، وجعل ينشفها بكمه، وقد اختنق القوم بالبكاء، فقال: كذا كان أبو الحسن، فكيف وجدك عليه يا ضرار؟

قال: وجد من ذبح واحدها في حجرها، لا ترقأ دمعتها، ولا يسكن حزنها، ثم قام فخرج.

ولأقف واياكم مع الحسن الهبل

لحيدرة الفضل دون الورى ... على أقرب الناس والأبعد

فدن بمحبته إن من ... يدن بمحبته يرشد

أخو المصطفى وخدين الهدى ... وهادي البرية والمهتدي

إذا ما دجت ظلم المشكلا ... ت جلى دجى ليلها الأسود

ومهما ينادي لأكرومة ... فناهيك بالعلم المفرد

وحسبك من فضله أنه ... لغير المهيمن لم يسجد

وأن من المصطفى صنوه ... لفي ذروة الشرف الأتلد

أبن لي من فاز دون الورى ... بنص الإمامة من أحمد

حباه الإمامة من بعده ... وكانا من الناس في مشهد

ومن ذا سواه يرى قائما ... على الحوض يسقي الورى عن يد

ومن ذا غدا حبه في الورى ... دليلا على شرف المولد

ونفس الرسول بنص الكتا ... ب وما النفس كالصاحب الأبعد

ومن نام في مرقد المصطفى ... وعين أولي الغدر لم ترقد

وأهوى العقاب إلى نعله ... ليدفع عنه أذى الأسود

وفي الصوح من شب نار الوغى ... وقد أحجم الناس من عن يد

وعمرو غداة دعا للقا ... أتيم له برزت أم عدي

أبينوا لنا ويلكم إنني ... أرى الحق أبلج للمهتدي

حسدتم عليا على فضله ... ومن نال ما ناله يحسد

وخالفتموه بأهوائكم ... خلاف العبيد على السيد

وأنكرتمو من سنا فضله ... ضياءا أناف على الفرقد

ولا عـــار للشـــمس إن أنكـــرت ســـنا ضـــوءها مقلـــة الأرمـــد
فهـــلا وقـــد رمتمـــو شـــأوه ســـبقتم إلى غايـــة الســـؤدد
وهـــل جنـــب مـــنكم غـــيره أحـــل لـــه اللبـــث في المســـجد

ايها الاخوة : وقبل الشروع في صلب الموضوع اريد ان اتسائل واياكم عن المراد والمقصود والهدف والغاية من اجتماعنا في هذا المكان واحيائنا لهذه الليلة واقامتنا لذكرى استشهاد امير المؤمنين

هل المراد سرد قصة ماوقع في مثل هذه الليلة او المقصود تحزين قلوبنا بذكر تلك الفاجعة ام الهدف اسبال الدموع من تلك الوقعة البشعة وان فعلنا هذا فقط هل يكون وفائنا منا لامامنا واسوتنا وهل هو ما كان يرومه منا

ام ما الغاية من هذا ؟

اعيروني آذان قلوبكم لأذكر لكم شيئا من المقصود من احياء مأتم امير المؤمنين علي عليه السلام

اليس المقصود تكييف مقدار مصداقيتنا في حبنا لامير المؤمنين الذي يتجسد في الاقتداء به في ارتباطه بخالقه اليس المراد ان ننظر الى ما يثلج صدره علينا لو كان بين اظهرنا

اخوتي : فليكن في حسبان كل فرد منا انه لا يتم الولاء ولا تصدق المحبة لعلي الا بالسير على منهجه في معرفته لخالقه وفي عبادته وخوفه من ربه وفي معاملته وتربيته لاسرته وحرصه على صلاح مجتمعه

نعم *أيها الأخوة المؤمنون* : لقد اجتمعنا وإياكم هذه الليلة من أجل رمز من الرموز العظيمة التي تحدث عنها التاريخ وعلم من تلك الأعلام ، وإمام همُام من أولئك الأئمة الذين نذروا حياتهم من أجل هذه الأمة وأزهق روحه في سبيل تلك الغاية العظيمة إنه علي بن أبي طالب عليه السلام أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين وإمام الأمة عامة والخليفة بعد رسول الله بلا فصل ، وفي هذه المناسبة الجليلة يجب أن نستعيد ذكرياته وأن نستلهم الدروس والعبر من حياة ذلك الإمام ا لقدوة

والأستاذ المعلم لكل فضيلة الذي هو عَلَمَ الحق ومع الحق يدور معه حيثما دار ، ونتسائل فيما بيننا عن مدى قوة الصلة بين ذلك الماضي وبين الحاضر أعني بيننا وبين الإمام علي ، وما هي الروابط المتينة والعلاقة التي تربطنا به وتصل حبلنا بحبله ، وما القدر الذي نكنه له في نفوسنا من الحب والتقدير والإحترام مقابل ما قدمه لنا من معروف وما أسداه لنا من خدمات جليلة في مجال الدين ، ثم نسأل أنفسنا ما الذي قدمناه له كأتباع وأشياع وما المعروف الذي قابلنا به ذلك العطاء ، كل تلك الأسئلة لا بد لنا أن نبحث عن اجوبة لها ، حتى يصح منا صدق الإنتماء وخالص الولاء إما أن يكون ردنا مجرد التغني باسمه والتفاخر بالإنتماء إليه بدون معرفة ولا علم بحاله ولا حتى مجرد معرفة حقيقة الإنتماء إليه ، هذه فرصة ثمينة ومناسبة جمعتنا وإياكم في هذا المأتم نقضيها وإياكم في الكلام عن أمير المؤمنين وقائدهم الذي له في عنق كل مؤمن حقاً لازماً ،

جميعنا نحمل على أعناقنا مِنَّةَ الإمام، وإحسان الإمام، وتَفَضُّلَ الإمام، وعلينا أن نرعى جميله وإحسانه،

وفي إحياء هذه الليلة تعبير عن ذلك واعتراف بالمنة والفضل.

فلتكن هذه الليلة ليلة نستلهم منها المثل العليا والقيم العظيمة، ونسترشد بهدي هذه الشخصية التي هي التعبير النقي والخالص عن الدين القويم؟!

ليلة نقوِّي فيها تلك الصلة التي تربطنا بالإمام، ونشد فيها على تلك الأواصر التي تمتد جذورها تاريخيا وعقائديا بالإمام وبنهجه، ليلة نقول فيها: نحن على العهد ماضون، وعلى الدرب سائرون، وعلى تلك القيم محافظون، وعلى نشر دين الله تعالى عازمون وباذلون الغالي والرخيص والنفيس والنفيس.

إن ليلة المقتل ليلة نأخذ منها العبر، نستلهم منها الدروس، ونأخذ من صفحاتها الناصعة المضيئة مشاعل النور لنضيء بها دروب مسالكنا المظلمة، التي استمر نهج الإمام على مر الزمان فيها واضحا مضيئا ممثلا بأهل بيته عليهم السلام، الذي تواصل واتصل بهم طريق الحق ومعالم الدين، ونحن باتباع الإمام وأهل البيت وبموالاتهم نعمل بقول نبينا صلى الله عليه وآله وسلم الذي يقول: ((إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم))؛ لأنهم الْمَعِين الصافي والمورد العذب النقي، الذي يمثل دين الله تعالى أصدق تمثيل، ويطبقه أفضل تطبيق، فمن أحق بذلك منهم ومن أولى؟!

والحديث عن أمير المؤمنين في ليلة المقتل -أو في غيرها- حديث عن الدين، حديث الإسلام، حديث عن القرآن حديث عن السنة؛ لأنه المثال الحي الصادق عن الدين وعن الإسلام وعن القرآن وعن السنة، والمعبر عنها أصدق تعبير، في معاملته وسلوكه وطريقة حياته، فلنأخذ من ذلك ما استطعنا لنطبقه في سلوكنا ومعاملاتنا، مع أنفسنا ومع غيرنا، مقتدين في ذلك بالإمام.

ولتكن ليلة نزداد فيها معرفة بالإمام، ونقترب فيها من شخصيته أكثر، كيف تعامل مع إخوانه المؤمنين، وكيف عامل أعداء الدين، وبأي ميزان كان يزن به أموره وسلوكه، هل السياسة وما تمليه، أم الشرع وما حكم به، هل المصالح الشخصية، أم المصلحة الدينية، هل الرفعة وحب الثناء من الناس، أم الامتثال لأوامر الله وتطبيقها، هل طريق الهمج الرعاع، أم طريق السنة النبوية؟!

هذا هو الغرض من إحياء ذكرى المقتل التي نقول عنها نحن: إنها ذكرى أليمة، بينما الإمام يقول: (فزتُ ورب الكعبة).

اللّٰهم اجعلنا من الماضين على نهج الإمام وسيرة الإمام وطريقة الإمام، وارزقنا مرافقة الإمام والكون معه في درجات الجنان، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرًا.

نعم اخواني ومن المعلوم ان من الاسباب الداعية لاقامة هذه الليلة اخذ العبرة والعظة مما جرى في ذلك الزمان القريب عهدا برسول رب العالمين واخذ ما يرضي خالقنا ويقربنا من ربنا والتجنيب عما يصخط مالك يوم الدين علينا وكثرت الابتهال الى الله في ان يثبتنا ولا يفتنا

انها لصاخة كبرى وداهيت دهيا ان يكون هناك في وقت مازال قريب العهد برسول الله من يعتبر سفك دم مسلم قربة الى الله مع ان الله يقول {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (٩٣)}ويقول رسول الله صلى الله عليه وعلى اله فيما روي عنه {} فكيف اذا كان ذلك في حال صلاته وفي بيت من بيوت ربه بل كيف اذا كان ذلك المتقرب به امير المؤمنين ويعسوب الدين ومن نزل بمدحة والشهادة له بالايمان والحكم له مع الله ورسوله على الناس بالولاية جبريل الامين عن رب العالمين حين قال {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥)} من قال فيه بذلك من لا ينطق عن الهوى صل الله عليه وعلى اله خير ملأ عرفت البسيطة

{((من كنت مولاه فعلي مولاه؛ اللّهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره)). }

فأتاه الناس يهنئونه، فقالوا: هنيئاً لك يابن أبي طالب؛ أمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة. ومن جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حبه علامة يعرف بها المؤمنون حين قال له فيما روي عنه: ((لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق))

أيها الأخوة المؤمنون : كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد اخبر الإمام أمير المؤمنين عن قتله وقتاله وبين له بعض علامات ذلك فمنها لما ضربه عمرُ بنُ عبدِ ودٍّ العامريُّ على رأسه يوم الخندق وجاء أمير المؤمنين إلى رسول الله فنفث في موضع الجرح وشده وقال أين أكون إذا خُضِبَتْ هذه من هذه – أي كريمته من هامته – ومنها أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خطب مرة وتحدث عن فضل شهر رمضان وشرفه وثواب الطاعة فيه، فقام اليه الإمام علي بن أبي طالب – عليه السلام – وقال يا رسول الله ما أفضلُ الأعمالِ في هذا الشهر فقال يا أبا الحسن أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله عز وجل ثم بكا، فقال له أمير المؤمنين: يا رسول الله ما يبكيك فقال: ((يا علي ابكي لما يُسْتَحَلُّ منك في هذا الشهر كأني بك وأنت تصلي لربك وقد انبعث أشقى الأولين والآخرين شقيق عاقرِ ناقةِ ثمود فضربك ضربة على قرنك فخضب منها لحيتك))فقال له الإمام علي – عليه السلام – يا رسول الله وذلك في سلامة من ديني فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ((في سلامة من دينك))

قصة المؤامرة على قتل الأمام:

ذكر جماعة من المؤرخين أن أناساً ممن عادَوا الإمام علي – عليه السلام – من الخوارج اجتمعوا بمكة فتذاكروا الأمراء وعابوا أعمالهم، ثم اتفق ثلاثة منهم على قتل الإمام علي – عليه السلام – ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص، فقال عبد الرحمن بن ملجم المرادي: أنا أكفيكم علياً، وقال البَرَكُ بن عبد الله التميمي: أنا أكفيكم معاوية، وقال عمرو بن بكر التميمي: أنا أكفيكم عمرو ابن العاص وتعاهدوا على ذلك وتوافقوا على الوفاء وأن لا ينكُلَ أحدٌ منهم عن صاحبه الذي يتوجه إليه ولا يرجع عن قتله واتفقوا على أن يكون تنفيذ ذلك ليلة التاسع عشر من شهر رمضان عند صلاة الفجر سنة ٤٠هـ

وكان عبد الرحمن بن ملجم المرادي قد بايع أمير المؤمنين عند تسليمه الخلافة فتوثق منه الإمام وأكد عليه أن لا يغدر ولا ينكث فقال ابن ملجم: والله يا أمير المؤمنين ما رأيتك فعلتَ هذا بأحد غيري فتمثل الإمام بهذا البيت:

أريدُ حياتَهُ ويُرِيدُ قتلِي ... عَذِيْرُكَ مِنْ خَلِيلُكَ مِنْ مُرادِي

ثم قال – عليه السلام –: امضي يا بن ملجم فو الله ما أراك تفي بما قلت .

ومع أن الإمام – عليه السلام – كان قد أحسن إليه وأكرمه فقد اتفق عبد الرحمن بن ملجم مع رفاقه على قتل الإمام علي – عليه السلام – وأقبل إلى الكوفة واجتمع ببعض أصحابه من الخوارج إلا أنه كتم أمره مخافة أن ينتشر الخبر، وذات يوم دخل على رجل من أصحابه من تَيْمِ الرَّبَاب فصادف عنده قَطَام بنت الأخضر التميمية، وكان أبوها وأخوها قد خرجا على الإمام علي وقتلهما بالنهروان، وكانت قطام من أجمل نساء أهل زمانها فلما رآها ابن ملجم عشقها وشغف بها فخطبها لنفسه، فقالت له ما الذي تسمي لي من الصداق؟، فقال لها احتكمي ما بدا لك فطلبت منه ثلاثة آلآف درهم وخادماً وجاريةً وقتل علي ابن أبي طالب، ومع أن ابن ملجم جاء لقتل الإمام علي – عليه السلام – فقد أخفى ذلك عنها وقال لها: لكِ جميع ما سألتي وأما قتل علي بن أبي طالب فأنَّى لي بذلك فقالت تلتمس غِرَّتَهُ فإن أنت قتلتَه شفيتَ نفسي وهنأكَ العيشُ معي، فقال لها: أما والله ما أقْدَمَني هذا المصر وقد كنت هارباً منه لا آمن أهله إلا ما سألتيني من قتل علي ابن أبي طالب فلك ما سألتي وفي هذا يقول الشاعر:

فلم أرَ مهراً ساقَهُ ذو سماحةٍ ... كمهر قَطَام من فصيح وأعجم

ثلاثة آلآف وعبدٌ وقينةٌ ... وقتل علي بالحسام المسمم

فلا مهر أغلى من علي وإن غلا ... ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم

قالت له قطام فأنا طالبة لك بعض من يساعدك على ذلك فيقويك، ثم بعثت إلى وردان بن مجالد من تيم الرباب فخبرته الخبر وسألته مساعدة بن ملجم فتحمل ذلك لها، وجاء عبد الرحمن بن ملجم إلى رجل من أشجع يقال له شبيب بن بجرة وكلمه في قتل الإمام أمير المؤمنين، وقال له يا بن ملجم هبلتك الهبول لقد جئت شيئاً إدّاً وكيف تقدر على ذلك، فقال له بن ملجم نكمن له في المسجد الأعظم فإذا خرج لصلاة الفجر فتكنا به، ولم يزل به حتى أجابه فأقبل معه حتى دخلا على

قطام وهي معتكفة في المسجد الأعظم قد ضَرَبَتْ عليها قبَّة، فقال لها: قد اجتمع رأينا على قتل هذا الرجل، فقالت لهما أذا أردتما ذلك فأتياني في هذا الموضع، فانصرفا من عندها فلبثا أياماً ثم أتياها ومعهما الآخر أي وردان بن مجالد، وكانوا قبل ذلك قد القوا الى الأشعث بن قيس ما عزموا عليه من قتل أمير المؤمنين فواطأهم على ذلك، وحضر الأشعث تلك الليلة لإعانتهم على اغتيال أمير المؤمنين – عليه السلام –، وكان اجتماعهم في مسجد الكوفة ليلة التاسع عشر من شهر رمضان سنة ٤٠ هـ، فقال ابن ملجم لقطام هذه الليلة التي واعدتُ فيها صاحِبَيَّ وواعداني أن يقتلَ كل واحدٍ منَّا صاحبه الذي يتوجَّه إليه، فدعَتْ لهم قطام بحرير وعصَّبَتْ به صدورهم، فتقلدوا أسيافهم فجلسوا في المسجد ينتظرون وصول الإمام علي – عليه السلام – إلى المسجد ليفتكوا به، وأما ما كان من أمر الإمام أمير المؤمنين – عليه السلام – فإنه كان يفطر ليلة عند الإمام الحسن وليلة عند الإمام الحسين وليلة عند عبد الله بن جعفر زوج ابنته الحوراء زينب، وكان لا يزيد على ثلاث لقم، فقيل له في ذلك فقال حتى يأتيني أمر الله وأنا خميص، قالت أم كلثوم بنت علي – عليه السلام – لما كان ليلة التاسع عشر من شهر رمضان قدَّمْتُ إلى أبي عند إفطاره طبقاً فيه قرصان من خبز الشعير وقصعَةً فيها لبن وملح، فلما نظر إليه الأمام وتأمله قال لي: بنيَّتي أتقدمين

إلى أبيك إدامين في طبق واحد أتريدين أن يطول وقوفي غداً بين يدي الله عزَّ وجلَّ، يا بنيَّة ما من احد طاب مطعمه ومشربه وملبسه إلا طال وقوفه بين يدي الله يوم القيامة.

يا بنيتي إن الدنيا في حلالها حساب وفي حرامها عقاب، وفي الشبهات عتاب، ثم قال: يا بنيَّتي لا آكل حتى ترفعي أحد الإدامين.

قالت أم كلثوم: فأردت أن ارفع الملح فقال: لا، فرفعت اللبن فأكل ثلاث لقم ثم حمد الله وأثنى عليه فقام إلى مصلاه، ولم يزلْ سلام الله عليه قائماً وقاعداً، راكعاً وساجداً، مبتهلاً ومتضرعاً إلى الله سبحانه، ثم قرأ سورة (يس) ورقد هنيئة، وانتبه مرعوباً وهو يقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، قالت أم كلثوم: ثم إن أبي جمع أولاده وأهل بيته وقال لهم: في هذا الشهر تفقدوني، إني رأيت في هذه الليلة رؤيا وأريد أن أقصها عليكم، قالوا وما هي؟ قال: رأيت الساعة رسول الله ... في منامي وهو يقول لي: يا أبا الحسن انك قادم إلينا عن قريب يجيء إليك أشقاها

فيخضب شيبتك من دم رأسك وأنا والله مشتاق إليك وأنك عندنا في العشر الأواخر من شهر رمضان فهلمَّ إلينا فما عندنا خيرٌ لك وأبقى.

فلما سمعوا كلامه ضجوا بالبكاء والنحيب فأقسَمَ عليهم أن يسكتوا فسكتوا ثم أقبل عليهم يوصيهم يأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر.

قالت أم كلثوم: ولم يزل أبي تلك الليلة قائماً وقاعداً راكعاً وساجداً يخرج ساعة بعد ساعة إلى ساحة الدار يقلِّبُ طَرْفَهُ في السماء وينظرُ في الكواكب وهو يقول: والله ما كَذَبْتُ ولا كُذِّبْتُ وأنها الليلةُ التي وُعِدْتُ بها ثم يعود إلى مصلاه وهو يقول: اللّهم بارك لي في الموت ويكثر من قول: إنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ويصلي على النبي وآله، ويستغفر الله كثيراً.

قالت أم كلثوم: فلما رأيته كذلك أرَّقْتُ معه ليلتي وقلت يا أبتاه مالي أراك هذه الليلة لا تذوق طعم الرُّقَاد؟ قال يابنيَّتي قد قرب الأجل وانقطع الأمل.

قالت أم كلثوم: فبكيتُ، فقال لي: يا بنيتي لا تبكي فإني لم أقل ذلك إلا بما عهد إليَّ حبيبي رسول الله

ثم غفا قليلاً وقام وتوضأ .....

وسار أمير المؤمنين – عليه السلام – حتى دخل المسجد والقناديلُ قد خمد ضوئُها فصلى وِرْدَه، وعَقَّبَ ساعةً فلما لاح الفجر علا أمير المؤمنين المئذنةَ وأذَّن، وكان إذا أذن لم يبقَ في المدينة بيت إلا ويدخله صوتُه، ثم نزل من أعلى المئذنة وهو يسبح الله ويقدسه وكان من كرم أخلاقه عليه السلام أنه يتفقد النائمين في المسجد فيقول: للنائم الصلاة يرحمك الله .. الصلاة.

قم إلى الصلاة المكتوبة عليك، ثم يتلو {إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} [العنكبوت: من الآية٤٥]

ففعل على جارِي عادته، ومرَّ على عبد الرحمن بن ملجم فرءآه نائماً على وجهه، فقال له: يا هذا قم من نومتك هذه فإنها نومةٌ يمقُتُها الله، وهي نومة الشيطان ونومة أهل النار، نم على يمينك فإنها نومة العلماء أو على يسارك فإنها نومة الحكماء أو على ظهرك فإنها نومة الأنبياء.

فتحرك الملعون كأنه يريد أن يقوم وهو في مكانه لا يبرح، فتركه الإمام – عليه السلام – وعدل عنه إلى محرابه، وقام يصلي نوافله، فنهض ابن ملجم– مسرعاً– وأقبل يمشي حتى وقف بإزاء الإسطوانة التي كان الإمام يصلي عندها فأمهله حتى صلى الركعة الأولى ورجع وسجد السجدة الأولى من الركعة الثانية ورفع رأسه فعندها أخذ السيف وهزَّه ثم ضرب الإمام أمير المؤمنين على رأسه الشريف.

فوقعت الضربة في موقع ضربة عمر بن ودّ العامري، ونزلَتْ إلى موضع سجوده فوقع الإمام على وجهه في المحراب وقد خضَّب الدمُ شيبتَه، فقال: بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله فزتُ وربِّ الكعبة: ثم صاح: قتلني بن ملجم أيها الناس لا يفوتنكم الرجل، فارتجت ألأرض وهبت ريح عاصف واصطفقت أبواب الجامع.

فهوى للثرى خضيبَ المُحَيَّا ... عافراً والخضابُ كان نَجيعا
ونعاه الروحُ الأمين بصوت ... ملأ الكونَ رَنَّةً وصُدُوعا
قُتِلَ المرتضى عليٌّ فَحُلَّتْ ... عُروةُ الدينِ والرشادُ أُضيعا
فليُنُحْ بعده الكتابُ و يبكي ... بدُمُوعٍ تحكي السحابَ الهَمُوعا
كنتَ للمخبتين كنزاً وللخا ... ئف حرزاً ... وللعَفَافِ ... ربيعا
وأباً لليتيم تحنو ... عليه ... وظِلا لًا له وحِصناً منيعا

وأحاط الناس بأمير المؤمنين وهو في محرابه يسيل دمُ رأسه وهو يقول جاء أمر الله، وصدق رسول الله.

فشدوا رأس الإمام لئلا ينزف دمُه وسمعَ أولادُ أمير المؤمنين وأهلُ بيته المناديَ ينادي: قُتِلَ أمير المؤمنين.

فأقبل الحسنان إلى المسجد فرأوا أباهم صريعاً في محرابه فصاحا: وا أبتاه واعلياه ليت الموتَ أعدمنا الحياة، فلما وقع بصر الإمام –أمير المؤمنين– على ولده الحسن أمره أن يصلي بالناس، فصلى بهم والإمام صلى صلاته إيماء –وهو جالس– لشدة الضربة.

والدم ينزف من رأسه وهو يمسح الدم عن وجهه الشريف ويميل تارةً ويسكن أخرى.

فلما فرغ الإمام الحسن من صلاته جاء إلى أبيه، وأخذ رأسه ووضعه في حجره وهو يقول: وا إنقطاع ظهراه يعزُّ والله عليَّ أن أراك هكذا، ثم إن الخبر قد شاع في جوانب الكوفة فانحشر الناس حتى المخدَّراتِ خرجْنَ من خُدورِهِنَّ وتوجهوا إلى الجامع لينظروا إلى أمير المؤمنين، فلما دخل الناس إلى الجامع وجدوا الإمام الحسن – عليه السلام – ورأسُ أبيه في حجره وقد غسلوا الدم عنه، وشدوا الضربة ووجهُهُ قد زاد بياضاً بصفرة وهو يرمق السماء بطرفِهِ ولسانه يسبح الله ويوحده ويقول: أسألك يارب الرفيع الأعلى.

ثم أغمي عليه وعندها بكى الإمام الحسن بكاءً شديداً، وبكى الحاضرون فسقط من دموعه على وجه أبيه، ففتح عينيه فلما رآه باكياً قال له: يا بني ما هذا البكاء لا رَوْعَ على أبيك بعد اليوم هذا جَدُّكَ محمدٌ المصطفى وجدتُك خديجة الكبرى وأمُّكَ فاطمةُ الزهراء والحور العين يحدقون منتظرون قدومَ أبيك فطِبْ نفساً وقرَّ عيناً واكفف عن البكاء يا بني أتجزع على أبيك وغداً تقتل بعدي مسموماً مظلوماً، ويقتل أخوك بالسيف وتلحقان بجدكما وأبيكما وأمكما.

قال محمد بن الحنفية: ثم أن أبي – عليه السلام – قال: احملوني إلى موضع مصلاي في منزلي، فحملناه إلى المنزل وهو مُدنِفٌ والناس حوله وهم في أمر عظيم باكين محزونين قد اشرفوا على الهلاك من شدة البكاء و النحيب.

فلتفتَ الحسينُ إلى أبيه باكياً وهو يقول: يا أبتاه من لنا بعدك؟

لا يوم كيومك إلا يومُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فقال له الإمام– أمير المؤمنين–: بني أبا عبدالله ادنُ مني فدنى منه فمسح الدموع من عينيه ووضع يده على قلبه وقال: يا بني ربطَ الله على قلبك بالصبر وأجزَلَ لك ولأخوتك عظيم الأجر فَسَكِّنْ روعَك واهدأْ من بكائك فإن الله قد آجرك على عظيم مصابك.

ثم أُدخِلَ الإمامُ إلى حجرته فجلس في محرابه وأقبلت زينب وأم كلثوم تندبانه وتقولان: يا أبتاه من للصغير حتى يكبُر؟ ومن للكبير بين الملأ؟ يا أبتاه حُزنُنا عليك طويل، وعَبرتُنا لا ترقأ، فضج الناس من وراء الحجرة بالبكاء وفاضت عند ذلك دموع أمير المؤمنين – عليه السلام – وجعل يقلب طرفَه وينظر إلى أهل بيته وأولاده، وكان يغمى عليه ساعة ويفيق أخرى ثم جُمِعَ له أطباء الكوفة فلم يكن أحدٌ منهم أعلمَ بجرحه من أثير بن عمر بن هاني السُّكُوني فلما نظر أثير إلى جرح

الإمام دعا برئة شاة حارة واستخرج عرقاً منها فأدخله في الجرح ثم استخرجه فإذا عليه بياضُ الدِّماغ، فقال يا أمير المؤمنين اعهد عهدَك فإن عدو الله قد وصلت ضربتُهُ الى أمِّ رأسك، فلما سمع أهلُ بيته ذلك أجهشوا بالبكاء ويأسوا من أبيهم،

ثم إن أمير المؤمنين – عليه السلام – قال: هل من شَربةٍ من لبن؟ فأتوه بقعبٍ من لبن فأخذه وشربه وقال: هذا آخر رزقي من الدنيا.

وأُدخِلَ ابنُ ملجم لعنه الله على الإمام علي – عليه السلام – وكان الإمام علي – عليه السلام – يقول: النَّفْسُ بالنفس، إن أنا مت فاقتلوه كما قتلني، وإن سلمت رأيت فيه رأيي، فقال ابن ملجم: والله لقد ابْتَعْتُهُ بألف وسممته بألف فإن خانني فأبعده الله – يعني سيفه – فنادته أم كلثوم قائلة: يا عدو الله قتلتَ أمير المؤمنين.

قال إنما قتلت أباك، قالت يا عدو الله إني لأرجوا أن لا يكون عليه بأس، فقال: إنما أراك تبكين علياً إذاً .. والله لقد ضربته ضربة لو قسمت بين أهل الأرض لأهلكتهم.

فقال الإمام أمير المؤمنين لأولاده: احبسوا هذا الأسير وأطعموه واسقوه وأحسنوا إليه أثاره، فإن عشتُ فأنا أولى بما صنع فيَّ إن شئت اسْتَقَدتُّ منه – أي اقتصصت منه وإن شئت صالحت – وإن متُّ فذلك إليكم، فإن بدا لكم أن تقتلوه فلا تُمَثِّلوا به.

فأُخرِجَ بن ملجم من بين يديه – عليه السلام –، وإن الناس يقولون له ياعدو الله ماذا فعلتَ، أهلكت امة محمد وقتلت خير الناس، وهو صامتٌ لم ينطِق بشيء فذهبوا به إلى الحبس.

قال محمد بن الحنفية: وبتنا تلك الليلة مع أبي وقد نزل السم إلى قدميه، وكان يصلي تلك الليلة من جلوس، ثم التفت الإمام إلى أولاده فأخذ يوصيهم قائلاً: وصيتي لكم ألا تشركوا بالله شيئاً، ومحمد فلا تضيعوا سنته، أقيموا هذين العمودين، وخلاكم ذم.

أنا بالأمس صاحبكم واليوم عبرة لكم، وغداً مفارقكم إن ابقَ فأنا وليُّ دمي، وإن أفنَ فالفناء ميعادي، وإن أعفُ فالعفوُ لي قربةٌ ولكم حسنة فاعفوا واصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم، والله ما فاجئني في الموت والد كرهته ولا طالع أنكرته وما كنت إلا كقارِبٍ ورَدَ الماء، وطالب وجد وما عند الله خيرٌ للأبرار، ثم قال يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضاً تقولون: قتل أمير المؤمنين، ألا لا يُقْتَلَنَّ بي إلا قاتلي انظروا إذا متُّ من ضربته هذه

فاضربوه ضربة بضربة ولا يمثَّل بالرجل فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور).

ثم اقبل على ابنه الحسن فقال: يا بني أنت وليُّ الأمر بعدي وولي الدم فإن عفوتَ فلك وإن قتلتَ فضربة مكان ضربة ولا نأثم.

ثم قال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب أوصى بأنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

فقال حبيب: يا أمير المؤمنين ما جرحك هذا بشيء وما بك من بأس، فقال له: يا حبيب أنا والله مفارقكم الساعة فبكى حبيب وكانت أم كلثوم جالسة عنده فلما سمعت بكلام أبيها بكت، فقال لها الإمام أمير المؤمنين: ما يبكيك يا بنية؟

قالت: ذكرت يا أبتي أنك تفارقنا الساعة فبكيت.

قال لها: يا بنيتي لا تبكي فوالله لو ترين ما يرى أبوك ما بكيت.

قال محمد بن الحنفية: ثم تزايد ولوج السم في جسده الشريف حتى نظرنا في قدميه وقد احمرتا جميعا فكَبُرَ ذلك علينا وأيسنا منه، ثم عرضنا عليه المأكول والمشروب فأبى أن يأكل أو يشرب، ثم نادى أولاده كلهم بأسمائهم صغيراً وكبيراً واحداً بعد واحد، وجعل يودِّعهم ويقول: الله خليفتي عليكم أستودعكم الله وهم يبكون.

فقال له الإمام الحسن: يا أبتي ما دعاك إلى هذا؟

فقال له: يا بني إني رأيت جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منامي قبل هذه الكائنة بليلة فشكوت إليه ما أنا فيه من الأذى من هذه الأمة.

فقال لي: ادْعُ عليهم فقلت اللّهم أبدلهم بي شراً مني وأبدلني بهم خيراً منهم.

فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (قد استجاب الله دعائك وسينقُلُكَ إلينا بعد ثلاث) وقد مضت الثلاث يا أبا محمد أوصيك بأبي عبد الله خيراً فأنتما مني وأنا منكما، ثم التفت إلى أولاده الذين من غير فاطمة الزهراء- عليها السلام - وأوصاهم أن لا يخالفوا الحسن والحسين.

ثم قال: أحسن الله لكم العزاء ألا وإني منصرف عنكم وراحلٌ في ليلتي هذه ولاحق بحبيبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما وعدني، فإذا أنا مت يا أبا محمد فغسلني وكفني وحنطني ببقية حُنُوط جدك رسول الله فإنه من كافور الجنة جاء به جبرائيل – عليه السلام – إليه، ثم ضعني على سريري ولا يتقدم أحد منكم مُقَدَّمَ السرير فإنكم تُكْفَونه فإذا حُمِلَ المَقَدَّم فاحملوا المؤخَّر وليتبع المؤخَّر المقدَّم حيث ذهب وأينما وُضِعَ المقدَّمُ فضعوا المؤخَّر فحيثُ قام سريري فهو موضعُ قبري، ثم تقدَّمْ يا أبا محمد وصلِّ عليَّ يا بني يا حسن، فإذا أنت صليت عليَّ يا حسن فنح السرير عن موضعه ثم اكشف التراب عنه فسترى قبراً محفوراً ولحداً مثقوباً فأضجعني فيه ثم أشرج اللحد باللبن وأهِلَّ التراب عليَّ ثم غيب قبري، وأضاف الإمام – عليه السلام – وكأني بكم وقد خرجت عليكم الفتن من هاهنا وها هنا فعليكم بالصبر فهو محمودُ العاقبة، ثم قال: يا أبا عبد الله أنت شهيد هذه الأمة فعليك بتقوى الله والصبر على بلائه، ثم أغمي عليه ساعة وأفاق وقال: هذا رسول الله وعمي حمزة وأخي جعفر وأصحاب رسول الله كلهم يقولون: عجِّل قدومك علينا فإنا إليك مشتاقون.

قال محمد بن الحنفية: ونظرنا إلى شفتيه وهما تختلجان بذكر الله تعالى وجعل جبينه يرشح عرقاً وهو يمسحه بيده، فقلت يا أبتي أراك تمسح جبينك فقال يا بني إني سمعت جدك رسول الله ... يقول: (إن المؤمن إذا نزل به الموت ودنت وفاته عرق جبينه وسكن أنينه).

ثم أدار عينيه في أهل بيته وقال: استودعكم الله جميعاً سددكم الله جميعاً، الله خليفتي عليكم .. وكفى بالله خليفة.

ثم قال: وعليكم السلام يا رُسُل ربي وقال {لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ}، {إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} [النحل:١٢٨] ثم استقبل القبلة وغمض عينيه ومدَّ يديه ورجليه وقال: اشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ثم قضى نحبه فصلوات الله عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً.

قال محمد بن الحنفية: ثم أخذنا في تجهيزه ليلاً، وكان الإمام الحسن يغسله والإمام الحسين يصب الماء عليه، وكان لا يحتاج إلى من يقلبه بل كان يتقلب كما يريد الغاسل يميناً وشمالاً – أي أن الملائكة كانت تعين على تغسيله– وحُنِّطَ بفاضل حُنُوط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكُفِّنَ، ثم

وضعوه على السرير ، وخرج السرير مما يلي باب كندة، وضج أهل الكوفة بالبكاء والنحيب والحسين يقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم إنا لله وإنا إليه راجعون، .

فللحسن الزكي عليه نَوْحٌ وَيَتْبَعُهُ الحسينُ له أنينا

وأضحت زينب تبكي عليه وتتبعُ نعشه السامي أنينا

ألا يا حاملين النعشَ مهلاً أراكم قد سَرَيْتُم في أبينا

حملتُم فيه للإسلام طوداً و مِطْعَاماً وقرءآناً مبينا

فَمَنْ للوافِدِينَ إذا أناخُوا ومَنْ يحمي ثغورَ المُسلِمِينا

ومضى المشيعون به إلى أن وصل إلى النجف، إلى الغَريين

فلما فرغوا من دفنه وقف صعصعة بن صوحان العبدي على القبر الشريف بكى وأبكى كل من كان معه فقال: (بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين هنيئاً لك يا أبا الحسن فقد طاب مولدك وقوي صبرك وعظم جهادك وظَفِرتْ رايتك، وربحت تجارتك، وقَدمتَ على خالقك فتلقاكَ اللهُ ببشارته وحفَّتك ملائكته، واستقررتَ في جوار المصطفى فأكرمك الله بجواره، ولَحِقْتَ بدرجته وَشَرِبتَ بكأْسِه، فأسل اللهَ أن يمن علينا باقتفاء أثرك والعمل بسيرتك والمولاة لأوليائك والمعاداة لأعدائك وأن يحشرنا في زمرة أوليائك فقد نلتَ ما لم يَنَلْهُ أحد وأدركت ما لم يدركه أحد وجاهدت في سبيل ربك حق الجهاد وقمت لدين الله حق القيام حتى أقمتَ السُّنَنَ وأبَرْتَ الفتن واستقام الإسلام وانتظم الإيمان، فعليك مني أفضلُ الصلاة والسلام.....

ثم رجع أولاد أمير المؤمنين ومن معهم إلى الكوفة ولم يشعر بهم أحد من الناس، وذلك قبل طلوع الفجر من ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان سنة ٤٠ للهجرة.

ولما أصبح الصباحُ قام الإمام الحسن خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله ... ، ثم قال: (أيها الناس في هذه الليلة نَزَلَ القرآن، وفي هذه الليلة رُفِعَ عيسى بن مريم، وفي هذه الليلة قُتِلَ يوشَعُ بن نون وصيُّ موسى بن عمران، وفي هذه الليلة مات أبي أمير المؤمنين، أيها الناس لقد قُبِضَ في هذه الليلة رجلٌ لم يسبقه الأولون بعمل ولا يدركه الآخرون بعمل، ولقد كان يجاهدُ مع رسول الله فيقيه بنفسه، وكان يوجِّهه برايته ويبعثه في السريَّة فيكتَنِفُه جبرائيل عن يمينه وميكائيل

عن شماله فلا يرجعُ حتى يفتح الله على يديه، وما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبع مائة درهم فَضُلَتْ من عطائه كان يجمعها ليشتري بها خادماً لأهله) ثم خنقته العَبْرَةُ فبكى وبكى معه الناس.

ورَثَى الإمام الحسنُ أباه بقوله:

أين من كان لعلم ... المصطفى في الناس بابا
أين من كان إذا ... ما أقطَطَ النَّاسُ سحابا
أين من كان إذا ... ما نودي في الحرب أجابا
أين من كان دُعـ ... ـاه مستجاباً ومُجَابا
اليوم مات الوصي والدِّين مُنهَدِمٌ ... وفي ثياب الأسى قد بات مُدَّرِعا
اليوم فلتسكب الأيتامُ عَبْرَتَها ... ولتترك الصبر لكن تصحب الجزعا

وقالت أروى بنت الحارث بن عبد المطلب، ترثي أمير المؤمنين علياً عليه السلام:

ألا يا عين ويحك أسعدينا ... ألاَّ تبكي أمير المؤمنينا
رزئنا خير من ركب المطايا ... وفارسها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها ... ومن قرأ المثاني والمثينا
إذا استقبلت وجه أبي حسين ... رأيت البدر راع الناظرينا
فلا والله لا أنسى علياً ... وحسن صلاته في الراكعينا
يقيم الحد لا يرتاب فيه ... ويقضي في الفرائض مستبينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا ... بخير الناس طراً أجمعينا
وكان الناس إذ فقدوا علياً ... نعام جال في بلد سنينا
وكنا قبل مهلكه بخير ... يُرى فينا وصي المسلمينا
أشاب ذوائبي وأطار جهدي ... أمامة حين فارقه القرينا
وعبرة أم كلثوم بحزن ... تجرعها وقد رأت اليقينا
فلا تشمت معاوية بن صخر ... فإنَّ بقية الخلفاء فينا

فصلوات الله ورحمته وبركاته عليه يوم ولد ويوم قتل ويوم يبعث حياً، ورزقنا الله السير على نهجه والإهتداء بهديه وحشرنا الله في زمرته ونسأله سبحانه أن يمن على الإسلام

والمسلمين بالنصر والمؤزر والفتح المبين وأن يجعلنا من عتقائه ونقذائه من النار في هذا الشهر الكريم آمين اللّٰهم آمين.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.